صلاح الأمّة بصلاح حكّامها

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

اليوم 26 من شعبان 1434هـــ الموافق لـــ 5 جويلية 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

حديثنا في هذه الجمعة المباركة، حديثٌ عن موضوع:

صلاح الأمّة بصلاح حكّامها

إخوتي الكرام،

اعلموا أن صلاح الأمّة لا يكون إلاّ بالعلماء الرّبّانيّين والحكّام العادلين الشّرعيّين، وفي التّاريخ الإسلامي ما صلح حال الأمّة إلاّ حين تولّى أمرها الأتقياء الّذين ارتضاهم النّاس واختاروهم وبايعوهم، فعزّ الإسلام وانتشر العدل، وذلّ فيه أهل الشّرّ والفسق والإعتداء،

وما أصاب الأمّة من ذلٍّ في التّاريخ، وما تسلّط المجرمون والفسقة على الأمّة إلاّ بفساد السّلطان.

ونقف في هذه الجمعة عن نماذج عن حكّامٍ أتقياء:

لقد كان واليًا تحبّه الرّعيّة، لأنّه لم يفعل ما يدعو إلى السّخط عليه، لأنّه كان يتّقي الله في أمّة محمّدٍ، لأنّه جعل القرآن قائده، وكان يعظّم سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويحبّ الفقراء.

كان يحبّ أن يسمع رأي المخالفين، فأحبّه الأطفال والعجائز، إنّه الرّجل الّذي قال فيه الإمام أحمد رحمه الله:

(ليس أحدٌ قوله حجّة من التّابعين إلاّ عمر بن عبد العزيز).

السّلام عليك يا عمر بن عبد العزيز، وبيننا وبينك أكثر من 13 قرنًا.

- لقد تولّى عمر بن عبد العزيز سدّة الحكم وهو شابٌّ مُترفٌ من بني مروان، يغيّر ثوبه في اليوم ثلاث مرّاتٍ، كان إذا مرّ بِسِكَّةٍ شمّ النّاس طيبه، كان يسكن قصرًا في المدينة، وعند والده قصرٌ في الشّام، وآخر في العراق، ورابعٌ في اليمن، فأراد الله لأمّة الإسلام خيرًا فتولّى الخلافة.

- حضر وفاة الخليفة، فرأى كيف يصرع الموت الولاة، رأى سليمان يعصره الموت عصرًا.

رأى سليمانَ بن عبد الملك على سرير الملك كالطّفل:

" **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ . . .**

﴿ 94 ﴾ " **سورة الأنعام.**

وكان يقول: (**يا من لا يزول ملكه، ارحم من زال ملكه**).

وكان يصرخ قائلاً:

أفلح من كان له كِبارُ — **إنّ بَنيَّ فتيةٌ صغارُ**

يقول: (**يا ليت أبنائي كبارًا يتولّون الملك من بعدي**).

فقال عمر بن عبد العزيز أمامه:

(**لا والله، " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿ 14 ﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ 15 ﴾ ")، سورة الأعلى.**

ومات سليمان الّذي قال: (**لأعقدنّ عقدًا، لا يكون للشّيطان فيه نصيبٌ**)،

فمات وكتب الخلافة لرجلٍ في كتابٍ سرّيٍّ، لم يُعلم بعد.

ولما وارى النّاس جثمان سليمان، قام رجاءٌ بن حَيْوة أحد العلماء والمسلمين، فأعلن على المنبر أنّ خليفة المسلمين وأمير المؤمنين هو عمر بن عبد العزيز.

فلمّا تلقّى عمر بن عبد العزيز خبر توليته، بكى وهو في الصّف الأوّل، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف، فأتى ليتحدّث فما استطاع أن يتكلّم من البكاء، وقال لهم:
(**لا أريد خلافتكم!**)،

فبكى النّاس وقالوا: (**لا نريد إلاّ أنت**)،

فاندفع يتحدّث، فذكر الموت وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتّى بكى من في المسجد.

ثم نزل فقرّبوا له المراكب، كما كان يُفعل بسلفه،

قال: (**لا!، إنّما أنا رجلٌ من المسلمين، غير أنّي أكثر المسلمين حِمْلاً ومسئوليّةً أمام الله، قرّبوا لي بغلتي**)،

فقرّبوا له بغلته فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل قصره وتصدق بأثاثه ومتاعه على الفقراء.

ونزل عمر بن عبد العزيز في غرفةٍ بدمشق أمام النّاس، ليكون قريبًا من الفقراء والمساكين، ثمّ استدعى زوجته فاطمة، فقال لها: (**إنّي قد وُلِّيتُ أمر أمّة محمّدٍ عليه الصّلاة والسّلام**)،

قال: (**فإن كنت تريدين الله والدّار الآخرة فسلّمي حُليّك وذهبك إلى بيت المال، وإن كنتِ تريدين الدّنيا فتعالي أمتّعك متاعًا حسنًا واذهبي إلى بيت أهلك**)،

قالت: (**والله، الحياة حياتك والموت موتك**)،

فدفع متاعها لبيت المال.

عاش عمر عيشة الفقراء، كان يأتدم خبز الشّعير في الزّيت، وربّما أفطر في الصّباح بحفنةٍ من الزّبيب، قائلاً لأطفاله: (**هذا خيرٌ من نار جهنّم**).

وكان أوّل قرارٍ اتّخذه عزل الوزراء الخَوَنَةِ الظّلمة، استدعاهم وقال لشريكٍ بن عرضاء: (**اغرُب عنّي يا ظالم، رأيتك تُجلس النّاس بالشّمس وتجلدهم وتُجوّعهم، وأنت في الخيام والإستبرق**)،

ثمّ عيّن وزراءه من علماء وصلحاء المسلمين.

وكتب إلى علماء العالم الإسلامي رسالةً، إلى من؟؟، إلى الحسن البصريّ، ومطرّف بن عبد الله بن الشِّخّير، وسالم بن عبد الله بن عمر، أن أكتبوا لي كتبًا، انصحوني قبل أن ألقى الله ظالمًا، فكتبوا له رسائل تنقطع منها القلوب، وتشيب منها الرّؤوس.

كتب الحسن: (**يا أمير المؤمنين! صُمْ يومك، لِتُفْطِرَ غدًا**)،

وقال سالم: (**إنّك آخر خليفةٍ تولّى، وسوف تموت كما مات من قبلك**).

وجعل سُمَّارَهُ سبعةٌ من العلماء، واشترط عليهم ثلاثة شروطٍ:

1- ألاّ يُغتاب مسلمٌ.

2- ألاّ يقدّموا شكايةً في مسلمٍ.

3- ألاّ يمزح في مجلسه، إنّما يذكرون الآخرة وما يقرّب من ذلك.

ثمّ صعد المنبر وأتى بمزاحم، مولى أسود قويّ البنية يخاف الله،

قال: (**يا مزاحم! إنّي أحبّك في الله، أنت وزيري**)،

قال: (**لِمَ يا أمير المؤمنين؟**)،

قال: (**رأيتك يومًا من الأيّام تُصلّي وحدك في الصّحراء صلاة الضّحى، لا يراك إلاّ الله، ورأيتك تحبّ القرآن، فَكُنْ معي**)،

قال: (**أنا معك**).

ثمّ وقف مزاحم وأمراء بني أميّة الظَّلَمَةُ، الّذين سلبوا النّاس أراضيهم، وضربوا النّاس وآذوهم.

قال عمر: (**هذا كتاب عبد الملك بن مروان بإقطاعيّة الأرض لكم بني أميّة، وقد صدق الله وكذب عبد الملك**)،

ثمّ قطع الصّك، ثمّ أخذ صكًّا آخر للعبّاس بن عبد الملك، أرضًا شاسعةً، فأتلفه بالمقصّ وقال: (**لا حقّ لك في ديار المسلمين**)،

ثمّ أتى إلى صكوكٍ، طيلة صلاة الجمعة يُشَقِّقُهَا طولاً وعرضًا، لأنّها بُنِيَتْ على الظّلم.

هذا حُكمه بين النّاس، وهذه رعايته لمصالح الأمّة، أمّا حياته الشّخصيّة فقد قيل لزوجته فاطمة بعد موته: (**نسألك بالله أن تَصِفِي عمر**)،

قالت : { **ما كان ينام اللّيل، والله لقد اقتربته ليلةً فوجدته يبكي يرتجف،**

قلت: (**مالك يا أمير المؤمنين؟**)،

قال: (**مالي؟، تولّيت أمر أمّة محمّدٍ، وفيهم الضّعيف المُجهد، والفقير المنكوب، والمسكين الجائع، والأرملة، ثمّ لا أبكي؟، سوف يسألني الله يوم القيامة عنهم جميعًا، فكيف أُجيب؟**) }.

هذا هو نموذج الحاكم المسلم، هذا نموذج السّاسة الأتقياء الّذين يعزّ الله بهم دينه.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

عمر بن عبد العزيز كان يدور في ظلام اللّيل، يسأل: (**هل من مريضٍ فأعوده؟، هل من أرملةٍ فأقوم عليها؟، هل من جائعٍ فأطعمه؟**)،

يقول أحد وُلاّته: (**ذهبتُ إلى إفريقيا، أُوزّع الزّكاة، فوالله ما وجدتُ فقيرًا في طريقي، لقد أغنى عمر بن عبد العزيز النّاس، فما بقي فقيرٌ، ولا جائعٌ ولا مدينٌ، ولا شابٌّ أعزبٌ**).

كان يصلّي الجمعة ، فيقوم نوّابه، معهم الدّفاتر بأسماء النّاس، فَيُوَزِّعُ الأعطية على طلبة العلم واليتامى، والمساكين والمرضى والأرامل، فيهتفون بعد الصّلاة: (**اللّهمّ اسْقِ عمر بن عبد العزيز من سلسبيل الجنّة**).

يقول أحد العلماء: (**لقد رأيته وهو والٍ على المدينة، فرأيته بضًّا سمينًا، فلمّا وَلِيَ الخلافة رأيته يطوف وقد رفع الإحرام عن جنبه، والله لقد كنت أعدّ عظام ساعديْه من الضّعف والضّمور**).

وفي يوم العيد جاءه الشّعراء، يريدون الدّخول ليفوزوا بالمال والدّنانير،

فقال للبوّاب: (**من بالباب؟**)،

قال: (**الفرزدق**)،

قال: (**والله لا يدخل عليّ عدو الله، وقد سمعته يتغزّل في بنات المسلمين**)،

(**وَمَنِ الآخر؟**)،

قال: (**نصيبٌ**)،

قال: (**ليس له عندي نصيبٌ ولا يدخل عليّ، سمعته يفتري في شعره**)،

ثمّ قال: (**ومن الثّالث؟**)،

قال: (**الأخطل**)،

قال: (**حرامٌ عليّ ابن النّصرانيّة أن يطأ بساطي**)،

قال: (**فمن الرّابع؟**)،

قال: (**عمر بن أبي ربيعة**)،

قال: (**أما آن له أن يتوب إلى الله، والله لا ترى عَيْنِي وجهه**)،

وقال لجريرٍ بعد أن أدخله: (**لا تكذب في شعرك، فإن الله يسألك**)،

قال: (**أعطني يا أمير المؤمنين**)،

قال: (**ما وجدت في كتاب الله عطاءًا للشّعراء، إن كنت فقيرًا أو مسكينًا أعطيناك**).

هذا الرّجل تولّى الخلافة سنتيْن كانتا أفضل من قرنيْن.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا،

اللّهمّ بلّغنا شهر رمضان،

اللّهمّ بلّغنا شهر رمضان،

اللّهمّ بلّغنا شهر رمضان،

اللّهمّ وفّقنا لصيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا،

اللّهمّ وفّقنا لصيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين وسائر المسلمين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلـٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.